محطة الاذاعة وتعليم الجمهور

كيف تستطيع المحطة أن تساهم فى التثقيف ؟

لحضرة صاحب السعادة توفيق دوس باشا

المذياع ابتكار جديد لم يمض على استعماله أكثر من عشرين سنة . ولكنه مع هذه السن الصغيرة قد نما وعظم حتى صارت له المكانة الأولى فى الدعاية ؛ وحتى صارت الحكومات تستغله وتسرف فى استغلاله لهذه الغاية . وهو يعد الآن سلاحا ماضيا فى أيدى الديمقراطيين والاستداديين يستخدمونه لاقناع الجماهير فى أقطارهم وفى غير أقطارهم بنزاهة خططهم وعدالة مذاهبهم . ولا يكاد يخلو منزل من منازل المتمدنين فى أوربا أو أمريكا من جهاز الاستقبال . حتى المنازل التى لا تشترى الجريدة أو المجلة ولا تقتنى الكتب قد صارت لا تستغنى عن الراديو لأنه يمتاز بأنه أداة للتسلية كما هو أداة للتنوير . وهو يسمعنا ويمتعنا من حيث لا نتعب ولا نخصه بوقت معين . فإن ربة البيت المشغولة بطفلها أو بمطبخها تستطيع أن تؤدى أعمالها ، وفى الوقت نفسه تستمع الى الأغانى أو الأحاديث أو الأخبار . أما حين تشترى الجريدة فإنها لا تستطيع أن تقرأ إلا اذا تركت سائر أعمالها وأرصدت كل وقتها للقراءة .

والمقارنة بين الجريدة والراديو ، جديرة بالالتفات . وبخاصة حين تجرى الأمة على نظام حرية المنافسة بين الأفراد دون النظر الاحتكارى أو الاشتراكى لمحطات الإذاعة . ففى الولايات المتحدة مثلا أكثر من ٧٦٠ محطة للإذاعة تعمل ليل نهار . بل تعمل أكثر من ٢٤ ساعة فى اليوم . لأن " اليوم " فى الولايات المتحدة يزيد على ٢٤ ساعة وذلك لامتداد القارة الأمريكية على خط عرض طويل يجعل بين بزوغ الشمس فى نيويورك وبين أفولها فى هوليوود أكثر من ٢٠ ساعة . ومن هنا تعدد محطات الإذاعة فى تلك البلاد ووفرة رابحها . ولكل فرد أو شركة فى الولايات المتحدة الأمريكية أن يؤسس محطة للإذاعة ، وهى تربح من الاعلان عن البضائع التجارية أو من الدعاية . والولايات المتحدة الأمريكية هى فى الوقت الحاضر معقل المذهب القائل بالمنافسة الحرة وكراهة النظرية الاشتراكية . ولذلك أصبحت المحطات الإذاعية هناك كأنها الجرائد يقتنيها الفرد أو الشركة ويديرها للكسب كما يفعل بالجريدة سواء بسواء . وقد تخصصت المحطات لهذا السبب كما تتخصص الجرائد . فكما أنك تجد بعض الجرائد تتفت الى التجارة دون الأدب أو الى الأخبار دون الصور والسياسة ، كذلك تجد مثل

هذا الاختلاف بين المحطات الاذاعية الأمريكية . فالأب أو الزوجة أو الأولاد يمكنهم أن يجدوا في كل وقت ما يشتهون من الاذاعة كما يجدون ذلك في الجريدة. وإذا عرفنا أن الجرائد الأمريكية تصدر بعض نسخها في مئة صفحة وتعالج شتى الشؤون المنزلية والسياسية والثقافية والمالية والتجارية والفنية، بحيث يجد فيها كل عضو من أعضاء البيت ما يشتهي، جاز لنا أن نقول إن اختلاف المحطات الإذاعية وتعددها يتيح مثل هذا الاختيار أيضا .

وقد يتساءل القارئ أي النظامين أفضل : أن تكون لمحطات الاذاعية تجارة حرة كالجرائد يقتنيها أو يديرها أفراد أو شركات يتزاحمون ويتبارون ، أم تكون احتكارا حكوميا أي نوعا من الاشتراكية الحكومية ؟

الواقع أن لكل من النظامين ميزاته وعيوبه . فان نظام المنافسة الذي يجري عليه الأمريكيون قد جعل هذه الصناعة ترتقي وتثمر ثمارا مختلفة لا شك في أن بعضها من المذاق، ولكن معظمها مرىء ينير العقول ويهذب النفوس ويمتع الناس امتاعا ربما لم يكونوا ليجدوا بديلا منه سوى الخمر أو غيرها من الشرور . وتعدد المحطات قد أحدث التخصص كما جعل للشؤون المحلية قيمة لا يمكن للمحطة الرئيسية في نظام الاحتكار أن تجعلها لها . فهناك المحطات التي تختص بالاذاعات المنزلية، كما أن هناك محطات أخرى لها مراسلون في انحاء العالم، بل في الأقاليم النائية في الصين والمانيا والهند وروسيا وأفريقيا الجنوبية، وهم يرسلون التلغرافات إلى محطاتهم فتذاع عند وصولها . بل ان بعض المحطات تذيع الأخبار مرة كل ساعة، بحيث لا تزيد مدة اذاعتها على ثلاث دقائق. والمزاحمة الحرة تحمل المحطات على التجويد في البرامج وغرس الثقة في المستمعين بايجاد أفضل المحدثين ممن شهد لهم بالاستقلال الفكري والخبرة. وقلما تريد الإذاعة على عشر دقائق حتى يسأم الجمهور . ولهذه الأسباب جميعها يمكن الأمريكي في أي وقت تقريبا من الليل والنهار أن يستمع لأسمى الأغاني والألحان أو لأحاديث أساتذة الجامعات في العلوم والآداب أو للاخبار الواردة من أنحاء العالم وليس بين ورودها وإذاعتها ما يزيد على دقيقة أو دقيقتين، أو هو يستمع إلى ألوان من إذاعات التسلية يقوم بها متخصصون مشهورون .

ولكن إزاء هذه الميزات نجد أن هذه الحرية في إنشاء المحطات قد أوجدت — كما أوجدت في الجرائد — فرصة للمذاهب المختلفة التي تخشاها الأمم الديموقراطية . فهناك في الولايات المتحدة مثلا محطة قد اختصها القسيس كوجلان بإذاعات تدعو إلى الفاشيستية . كما أن الاعتماد على أموال الاعلانات قد جعل هذه المحطات خاضعة لكبار رجال التجارة والصناعة ، لا تنتقد المصانع أو المتاجر الكبرى ، مهما أحدثت هذه من الأضرار بالجمهور .

وهناك أمم أخرى قد جعلت المحطات الإذاعية احتكارا للحكومة . والعادة المألوفة — كما نرى في بريطانيا ومصر — أن إدارة المحطة تكون ملكا لإحدى الشركات ولكن الحكومة

تعادم ... لاحتكار - في الربح العائد من الضرائب المفروضة على من يقتنون أجهزة الاستقبال وتشترك في تعظيم البرامج. وميزات هذا النظام أنه لا يجعل المحطة خاضعة للاعلانات التجارية وهي عندئذ تحس باستقلال حريتها في النقد. وإن يكن من البعيد جدا أن تعمد محطة حكومية أو تحت إشراف الحكومة إلى انتقاد إحدى الشركات التجارية. والاختبار يدل على أن هذا لم يحدث قط. بل العكس هو الذي حدث. أي أن المحطات الحرة التي تديرها شركات حرة في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها هي التي تجرأ أحيانا على هذا الانتقاد. ولكن الحكومة بإشرافها على المحطات الاذاعية تستطيع أن توجهها للخير وترصدها لخدمة العامة دون أن تبالي بالربح العائد عليها. ولكن في هذه الحال يجب أن تكون المحطة ملكا خاصا للحكومة. والواقع أن الحال ليست كذلك، لأن وراء لاحتكار شركة تطلب الربح أولا وقبل كل شيء.

بعد هذه الملاحظات، نرى أنه يمكننا أن ننتفع بمحطة الإذاعة أكثر جد مما ننتفع بها في الوقت الحاضر. فقد يحسن أن تكون عندنا محطات إقليمية صغيرة لكل مديرية حتى يستطيع المستمعون في مديرية ما أن يحدوا الأخبار المتعلقة بمديريتهم. والمحطة الاقليمية في هذه الحالة تشبه الجريدة الأقليمية التي تعنى بالأخبار المحلية. ومن رأيي أن الأخبار يجب أن تتكرر طول النهار مرة كل ساعتين أو ثلاث ساعات مثلا ويضاف إلى كل خبر بعض المعارف التي تتصل به جغرافية كانت أم تاريخية أم سياسية. وليس من الحسن أن تجمع هذه المعارف في حديث معين في ساعة معينة، بل يجب توزيعها على الأخبار حتى لا يسأم الجمهور. كذلك أرى أن البيت يحتاج إلى عناية المحطة أكثر من أي شيء آخر. ونعني هنا بلفظة "البيت" كل ما يتصل به من شؤون المرأة والأولاد والزواج والسعادة العائلية والاقتصاد المنزلي ونحو ذلك.

ومما أخذه على محطة الإذاعة عندنا، أنها لا تعرض على المستمعين الإصلاحات الاجتماعية في أوربا وأمريكا ولا المكتشفات العلمية، فان الحضارة الأوربية في تطورها يجب أن تعرض علينا من محطة الاذاعة، حتى نعرف ماذا يتم في باريس أو نيويورك أو لندن من إصلاحات اجتماعية وأي المكتشفات أو المخترعات الحديثة قد أخذ به المتمدنون واستغلوه لتقدمهم. لقد استمعنا إلى أحاديث عن إصلاحات المستر روزفيلت وعن الاصلاحات الاجتماعية لمكافحة الفقر في إنجلترا كما استمعنا إلى أحاديث أخرى عن التقدم الأخير في الكيمياء الصناعية. ولكن كان يجب أن نسمع أكثر وأكثر. ويجب أن تختار المحطة أولئك الكتاب القادرين على تيسير النظريات العلمية ووضع المكتشفات والمخترعات في قالب مشوق وصحيح حتى يتجه جمهورنا في تفكيره إتجاها عمليا وحتى يستطيع أن يحكم على الأشياء بقيمتها العلمية. دون ذلك يسيطر على الحضارة العصرية ولا مفر لأمة متمدنة من درسه والانتفاع به وكثيرا ما يستمع الانسان لحديث كأنه مقال إنشائي لإحدى المجلات الأدبية. بل يمكن أن يقال

بل الأدب يستغرق أكثر من حقه فى محطة الإذاعة المصرية . و جمهورنا ليس من الثقافة فى المقام الذى يسمح له بتذوق هذا الأدب . ولابد من أن تتخذ خطة عملية لتنوير هذا الجمهور. ومهما نقل عن علاقة الجمهور بالمحطة فإنه ليس من المتيسر ولا من المعقول أن نرفع الجمهور إلى مستوى عال تستقر عليه محطة الاذاعة سواء من ناحية الأسلوب أو المعارف . وإنما المتيسر والمعقول أن تنزل المحطة إلى مستوى الجمهور أو على الأقل لا تفارقه ولا ترتفع عليه إلا بمقدار صغير لا يقطع بينهما الصلة . وقد استمعت لأحاديث فى مصر ألقاها كبراء خبراء فى فنونهم كانت تعلو على المستوى الثقافى عند الجمهور ، واعتقادنا أن السواد الأعظم لم ينتفع بها . وشأن الأحاديث هو شأن الأغانى . فإن المحطة لا يمكنها أن تفارق الجمهور وتتخذ ألحانا تزعم سموها مع نبوها عن الذوق المصرى . ولكنها يمكنها أن تخالف قليلا بالارتفاع على مستوى العامى مع الحرص على ألا يكون هذا الارتفاع بمثابة القطيعة بين المغنين والمستمعين .

والواقع أن محطة الاذاعة عندنا تهبط كثيرا إلى مستوى الجمهور بل عامة الجمهور فى الأغانى والألحان ولكنها ترتفع عنه ارتفاعا عظيما فى الأحاديث ، حتى صار الجمهور يقفل الراديو كلما أحس أن حديثا قد ابتدأ ، فى حين هو يقبل الاقبال كله على السخيف المبتذل من الأغانى . وهذه حال تحتاج إلى العلاج . والعلاج هو ترقية الأغانى وتقريب الأحاديث إلى لغة الجمهور ومستواه الذهنى . وأملى فى مدير محطة الاذاعة المصرية كبير فى أنه سيصل بها إلى هذا المستوى الذى ننشده .

توفيق دوس

من وصايا الإمام على بن أبى طالب

للأشتر النخعى واليه على مصر

إياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء . فإن ذلك فى أوثق فرص الشيطان فيحق ما يكون من إحسان المحسنين . و إياك ولمن بإحسانك أو أن تزيد فيما كان من فعلك ، أو أن تعدهم ثم تخلف ، فإن المن يبطل الاحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب لمقت عند الله والناس . وإياك والعجلة فى الأمور قبل أوانها ، أو التهاون فيها عند إمكانها ، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت ولم تتبين وجوه صوابها ، أو الوهن عنها إذا استوضحت هذه الوجوه . فضع كل أمر موضعه وأوقع كل أمر موقعه . والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو أثر عن رسول الله أو فريضة فى كتاب الله .